

الموسوعة الشامية في
تاريخ الحروب الصليبية

التاريخ الكبير
تصنيف
متى بارس

القسم الأول
(١٢٣٥-١٢٤٤)

obeikandi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة:

سلفت بي الإشارة من قبل إلى متى باريس وكتابه في التاريخ الذي أوصل به كتاب «ورود التاريخ» إلى أحداث سنة ١٢٧٣، ومثلما هي معلوماتنا ضئيلة جداً كانت عن صاحب ورود التاريخ هي كذلك عن متى باريس، فهو قد كان مثل سلفه من رهبان دير القديس ألبان، وهو شهر بلقب الباريسي إما لأنه ولد في باريس، أو لأنه تعلم في باريس، ولم يشبه متى سلفه، ولأمعاصريه من الرهبان حيث لم يسع لنيل المراتب الرهبانية، مع أنه امتلك المؤهلات وكان عالي الثقافة، ويبدو أنه صرف اهتمامه كله نحو التاريخ وكتابته، وقليلاً هو الوقت الذي صرفه لدراسة الكتاب المقدس وكتابة تعليقات عليه، لاهوتية أو سوى ذلك، وسعى دوماً إلى إعادة النظر بها كتبه في التاريخ تنقيحاً وتصحيحاً وإكمالاً.

ولقد صنف متى «التاريخ الكبير» الذي نقدمه اليوم إلى القارئ العربي للمرة الأولى، وهذا الكتاب جاء تكملة لعمل روجر ويندوفر، وهو معه يصوران أوضاع انكلترا وفرنسا بشكل رئيسي منذ ما قبل سنة ١٠٩٥ حتى ١٢٧٣، أي ما يقارب القرنين من الزمان، أو بكلمة أخرى معظم سنوات قرني الحروب الصليبية، ولقد كانت فرنسا وانكلترا هما اللتان أسهمتاً أكثر من غيرهما من بلدان أوروبا في أحداث الحروب الصليبية، وطبعاً كما سوف يلاحظ القارئ أن روجر ويندوفر ثم متى باريس لم يقصرا اهتماميهما على فرنسا وانكلترا، بل شملاً بذلك أوروبا كلها، وأن يمتلك الإنسان صورة أوروبا خلال قرني الحروب الصليبية فيه فائدة جلية، ومع صورة أوروبا أحوال الأرض المقدسة ومجريات الحروب الصليبية في الشرق، فلقد تطورت فكرة حمل الصليب، وكان للبابوية ورجال اللاهوت الدور

الأعظم في تطوير عقيدة الصليبية والضمانات الممنوحة لحملة الصليب، ولم تعد الحملات الصليبية مقتصرة ضد المسلمين، بل شملت جميع خصوم كنيسة روما، وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ظلت الروح الصليبية متوقدة ضد المسلمين في الشرق، وكان بود البابوية مواصلة إرسال الحملات، لكن أعاقها الصراعات الداخلية التي تفجرت في كل من فرنسا وانكلترا، حيث كان النظام الاقطاعي يعاني من مشاكل كبيرة، وقد ازدادت المطالب بالمزيد من الحريات العامة وتحديد صلاحيات الملوك، وتوفر صراع مستمر بين الكنيسة وبين التاج، وكانت بذور القوميات قد بدأت تنمو، وتوفرت الأجواء نحو الاتجاه إلى إقامة الحكومات الوطنية إن لم أقل القومية، وكانت نفقات الحملات الصليبية عالية جداً وثقيلة، وفرصة دائمة للاستمرار بفرض الضرائب والمكوس، يوماً لصالح التاج، ويوماً آخر لصالح الكنيسة، ولكن أكثر شيء لصالح البابوية، هذا ويلاحظ أن النهضة الثقافية كانت ضعيفة والعقلية الغيبية هي السائدة لكن توفرت مواجهات جديدة صعبة وتمردات ضد صيغة التثليث والعلاقات بين الأقباط، ومع ذلك ظلت سلطات البابوية مطلقة وقوية جداً، وتخيف كل انسان بفرض العقوبات الكنسية، ولذلك كانت البابوية تتدخل بالشؤون الداخلية لكل واحدة من دول أوروبا، وعانت الإدارة البابوية من الفوضى، ومن فعالية الرشوة، وسوء القضاء، وهذا أيضاً عانت منه العروش في فرنسا وانكلترا فالملوك منذ رتشارد الأول ومعاصره فيليب أغسطس باتوا عديمي الخبرة، لابل أحياناً عديمي الوجود، واحتكر المستشارون السلطة، ولذلك لم تتوقف الصراعات السلطوية، وظلت القلاع لها دورها، ولا شك أن الحروب الصليبية كانت لها تأثيراتها على فنون بناء القلاع وتحصيناتها، وعلى التسليح.

هذا في الغرب الأوربي، أما في بلاد الشام والجزيرة ومصر، فقد شكلت الدول الأيوبية عبئاً ثقيلاً على أهل البلاد، حيث انشغل الأيوبيون

بصرعاتهم الداخلية، وتمنوا جميعاً لو أن القدس زالت من الوجود، لذلك كانوا يعرضون تسليمها إلى كل قائد حملة صليبية صغرت أو كبرت، ودفعت دمياط الثمن الباهظ في الدفاع عن مصر وعن القدس.

ومن مزايا كتابينا توفر كميات كبيرة من الوثائق البالغة الأهمية، والتواصل برواية أخبار الأحداث بصدق ودونما تصنيع، مع شيء من العاطفة الانكليزية، هذا وكنا قد ذكرنا أننا لانعرف الكثير عن حياة متى باريس، وبالفعل لاندري بالتأكيد السنة التي توفي فيها، ولعلها كانت سنة ١٢٧٣ م التي توقف فيها عن متابعة التأريخ.

هذا وكتب متى كتاباً آخر بالتاريخ حول ملكي ميرشيا Mercia الأوفين Offas وعن حياة ثلاثة وعشرين من رعاة دير القديس ألبان، واختصر أيضاً التاريخ الكبير بكتاب عرف باسم «التاريخ الصغير»، وأضاف فيما بعد بعض الاضافات إلى هذا الكتاب، وسلف أن ذكرت الجهود الكبيرة التي بذلتها في سبيل الحصول على نسخة من كتاب متى باريس، الذي طبع منذ مائة وخمسين سنة، وبكتاب تاريخ متى باريس، أكون قد دنوت كثيراً من الفراغ من المصادر غير العربية الأساسية.

وإنني إذ أتوجه بالحمد إلى الله تعالى على عونه وتوفيقه، ألتمس منه جلّ وعلا المزيد من العون والتوفيق، والصلاة والسلام على نبيّنا المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

دمشق ١٧ صفر ١٤٢٢ هـ / ١٠ - أيار ٢٠٠١ م

سهيل زكار

obeikandi.com

وهكذا رددنا على الحسد، وفرغنا من ذلك.

«وأعدّ يابرايثي Prythee الكاتب قلمك وجهزه،

وتحرك ثانية ودر في فللك الخاص بك»

وفي الوقت نفسه، تسلم الملك ضريبة الهايد، أي ماركين عن كل هايد hide من أجل زواج أخته ايزابل، فقد دفع الملك أثناء زواجهما إلى الامبراطور، في مدة قصيرة من الزمن ثلاثين ألف مارك، إلى جانب زينة الامبراطورة، والتاج الذي كان غالي الثمن كثيراً.

الانتقام الذي أخذ من أجل موت رتشارد الايرل مارشال

وفي حوالي ذلك الوقت تبجح هنري كليمنت Clement وكان كاهناً، قدم رسولاً من النبلاء الايرلنديين، وتفاجر بشكل غير حكيم، بأنه كان السبب في وفاة الايرل رتشارد المارشال، الذي قال عنه بأنه كان خائناً، وعدواً دموياً للملك، ولجميع المملكة، فقتل الرجل بشكل مهين في لندن، حيث كان الملك، واتهم غيلبرت المارشال بموته، لكنه قدم براهين وافرة على براءته.

وكلف في الوقت نفسه الملك هنري الثالث أسقف كارايل، واستخدمه لابران معاهدة زواج مع ابنة ايرل ووركستر، وأن يقدم تعهده، وكذلك تعهد الملك حول هذه المسألة، لكن الملك غير فيما بعد رأيه، نتيجة تهديد صدر عن الملك الفرنسي، أنه إذا ما أصر، سوف يجري حرمان والدها، وقد تزوجت فيما بعد من ألفونسو، ملك قشتالة، من أجل جمالها.

الفتاوى الغريغورية الجديدة

وفي هذه الآونة أيضاً، شاهد البابا غريغوري التاسع التداخل المتعب للفتاوى والمراسيم البابوية، فأمر بهم فاختصروا، وجمعوا في إطار صغير، ومن ثم أمر بقراءتهم بشكل مهيب ودقيق مسؤول، ونشرهم في جميع أنحاء

العالم، وبدأت هذه الفتاوى المعروفة باسم الغريغورية نسبة إلى مصنفها بالجملة التالية: سلام الملك، إلخ، وقد بدل بعض خصوصياتهم، من ذلك على سبيل المثال، أن بعض الأشخاص غير المؤهلين ينبغي عدم تسلمهم موارد أسقفية ولاهوتية، من دون أن يحصلوا أولاً على ترخيص بالكفاءة من الكرسي الرسولي، ولأنه عرف أن كثيراً من المنافع تحصل لبلاط روما، من أجل الحصول على الشيء نفسه، بالطريقة نفسها كما هو الحال من قانون انوسنت، في سبيل أن يحمل ترخيصاً ما منافع أكثر من آخر.

ربا الكورسينيين

سيطر في هذه الأيام وانتشر الأذى المرعب للكورسينيين Caursines إلى درجة أنه كان من الصعب وجود أي إنسان في جميع انكلترا، خاصة بين الأساقفة الذي لم يقع في شباكهم، حتى الملك نفسه كان مداناً لهم بمبلغ من المال لا يمكن تعديده، لأنهم طوقوا المحتاجين وقت عوزهم، وموهوا رباهم تحت مظهر التجارة، وتظاهروا أنهم لا يعرفون أن كل ما أضيف إلى الأساس هو ربا، مهما كان الاسم الذي دعي به، لأنه كان من الواضح أن قروضهم ليست موجودة في طريق المعونات، بقدر أنهم كانوا لا يقدمون يد المساعدة إلى الفقراء لاسعافهم، بل لخداعهم، وليس لمساعدة الآخرين في جوعهم، بل ليزيدوا من شرارتهم، مشاهدين أن «الدافع يدمغ عملنا نفسه».

الشكل الذي ربط فيه الكورسينيين المقترضين منهم

إلى كل من سوف يرى الكتابات الحالية —رئيس رهبان وراعي دير— صحة في الرب— ليكن معلوماً من قبلكم، بأننا قد تسلمنا قرضاً في لندن، من أجل تسوية مسائل تتعلق بنا وبكنيستنا، من فلان، ومن علان، من أجلهم أنفسهم وشركائهم، سكان وتجار مدينة— مائة وأربعة ماركات من نقود استيرلينية جيدة وقانونية، وكل مارك مقدر بحساب صرف ١٣ شلنغ

و٤ بنس استيرليني، وفيما يختص بالمائة وأربعة ماركات، نحن نعلن باسمنا وباسم كنيستنا، أننا من دون تنازل أو اعتراض، بأنهم دفعوا إلينا بالكامل، وننكر كلياً وجود أي استثناء بالمال، في أنه لم يجر تعداد، أو في أن المال المذكور لم يتم تحويله لاستخدامنا، ولا استخدامات كنيستنا، وأن المائة والأربعة ماركات استيرلينيّات المتقدم ذكرهم، في الصفة والعدد المتقدم ذكره، بأن يحسب للتجار المذكورين، أو لواحد منهم، أو لوكيلهم المحدد، الذي سوف يجلب معه هذه الرسائل الحالية، في عيد القديس بطرس وفينكولا Vincula أي في اليوم الأول من شهر آب، في الهيكمل الجديد، في لندن، في سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين لتجسيد ربنا، ونعد بميثاق شرعي، ونربط أنفسنا، باسمنا، وباسم كنيستنا، بأننا سوف ندفع ونسدد بشكل كامل، ونضيف زيادة على ذلك هذا الشرط، وهو أن هذا المال إذا لم يدفع ولم يسدد، في المكان والموعد المتقدم ذكرهما، كما قيل، فإننا نعد أننا منذ ذلك الوقت، وفي موعد هو دائماً قبل انتهائه، ونربط أنفسنا بالميثاق نفسه، بأن ندفع وأن نقدم إلى التجار المتقدم ذكرهم، أو إلى وكيلهم المحدد، في كل شهرين، عن كل عشرة ماركات، مارك واحد عن المال المذكور، وذلك تعويضاً للخسائر، وهي الخسائر والنفقات التي يمكن أن يتحملها هؤلاء التجار أو يتلقوها، وبناء عليه من الممكن المطالبة بالخسائر والنفقات والأساس بشكل فعال، حسبها ورد الذكر أعلاه، والنفقات هي نفقات تاجر واحد، مع فرس واحد، وخادم واحد، حيثما سيكون التاجر حتى يجري الدفع بالكامل لجميع ماتقدم ذكره، والنفقات التي صرفت، أو سوف تصرف من أجل استرداد المال نفسه، سوف تسدد، وتعاد إلى التجار أنفسهم، أو إلى واحد منهم، أو إلى وكيلهم المحدد، وبالنسبة للذي سوف يعوض عن الخسائر، والفائدة والنفقات، إننا نعد التجار المذكورين أننا سوف لن نحصيه أو نحسبه بالنسبة لأساس الدين المذكور، وأن لاحتفظ بالدين المذكور تحت حجة التعويضات المتقدم ذكرها، مراغمة لإرادة التجار المتقدم ذكرهم، تجاوزاً للشرط المتقدم ذكره، وفي سبيل تنفيذ جميع

الشروط المتقدم ذكرها، وأنا سوف ننفذها ونفي بها بكل تأكيد، وسوف نراعيها مراعاة كاملة، ونحن نربط أنفسنا، وكنيستنا، وخلفاءنا وجميع سلطنا وسلع كنيستنا المتحركة، وغير المتحركة، اللاهوتية والدينيوية، الموجودة الآن لدينا، أو التي سوف توجد من الآن فصاعداً، أينما كانوا وحيثما وجدوا، لصالح التجار المذكورين وورثتهم حتى يجري دفع كامل لجميع المتقدم ذكره، الذي إذا كان على شكل بضائع، نحن نعتزف بتسلم ذلك منهم بوساطة تأجير مشكوك فيه، ونحن نوافق على وجود المتقدم ذكره في جميع الأماكن، وأمام أي محكمة، وأن نقوم بالتخلي عن كل المتقدم ذكره، بالنسبة لأنفسنا، وبالنسبة لخلفائنا، من كل من الجانب الشرعي والمدني، امتيازات كل من الكهنوت والبلاط القضائي، ورسالة القديس أدريان Adrian وكل عرف، وقرار، وجميع الرسائل، والتعهدات، والامتيازات المحصلة أو التي سوف يتم الحصول عليها من الكرسي الرسولي، لصالح ملك انكلترا، ولجميع شعب مملكته، وقانون De duabus dieties ومنفعة الدفع الكامل، ومنفعة استئناف المرافعة وإعادة الاتهام، ورسائل المنع الصادرة عن ملك انكلترا، وجميع الاستثناءات الأخرى، حقيقة وشخصية، التي يمكن أن تعترض ضد هذه الأداة أو الفعل، ونحن نعد بمراعاة هذه الأشياء كلها باخلاص، وشهادة على هذه القضية التي نعتقد أنها صحيحة، نقوم بتثبيت خاتمتنا على الكتابة الحالية، عمل في اليوم الخامس من Elphege في سنة النعمة ١٢٣٥ م.

هكذا كانت الروابط التي لا يمكن الخلاص منها، التي ربط بها الكورسينيين المقترضين منهم، وهم عن جدارة حملوا اسم كورسينيين، لأننا إذا أردنا أن نتعامل مع كلمة «كوسور» Causor نجد معناها ليغش، ومعنى كلمة Gapio ليأخذ، ومعنى ursine أي فظ، فهم أولاً أثاروا المحتاجين واستدرجهم بكلمات ناعمة ومعسولة، ولكن في النهاية طعنوهم بالصميم بما يشبه الرمح، وبناء عليه، وبسبب أن كلماتهم

المكتوبة كانت بارعة جداً، ومأخوذة من كتب القانون، وهي متصلة لها قرابة بمخادعات مرافعات الاستئناف، يعتقد كثير من الناس بأن هذه الأعمال والصفقات لم تحدث من دون موافقة بلاط روما وفقاً لكلمات الانجيلي: «أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم» [لوقا: ١٦/٨]، حتى اليهود عندما شاهدوا هذا النوع الجديد من الربا، وقفوا بين المسيحيين يسخرون من سبتنا، ليس من دوق استحقاق.

اينثار بلاط روما للكورسينيين

ورأى في هذا العام نفسه، روجر أسقف لندن، وكان رجلاً متعلماً وتقياً، أن الكورسينيين كانوا يقومون بشكل مكشوف، بمضاعفة أموال الربا لديهم من دون حياء أو خجل، ويهارسون أقدر حياة، ويضايقون رجال الدين بمختلف أنواع الأذى، ويكدسون أكواماً من الثروات، من الأعداد الذين أرغموا على الخضوع إلى نير ظلمهم، فثار بغضب ويأبء عنيف، وأشعل بغيرة قضية العدالة، وبناء عليه وصمهم بالهرطقة، وأنهم الذين نأوا بأنفسهم عن العدل، وهم يثمنون خلال أرواحهم، وأن عليهم القيام بالتكفير عن أفعالهم الأثيمة، ونظروا إلى هذا الانذار نظرة استخفاف وضحكوا منه وازدروه، لابل إنهم هددوا، وبناء عليه سلح الأسقف نفسه بأسلحة العدل، وشرع بحملة تكفير ضدهم جميعاً، وبايجاز وحزم، أمرهم بأن يغادروا على الفور مدينة لندن، التي كانت حتى ذلك الحين محررة من ذلك الطاعون، ولكي لا تتلوث أسقفيتهم بمثل هذا الدنس، غير أنهم امتلأوا بالتشامخ، ووثقوا بالحماية البابوية، وحصلوا من بلاط روما من دون ضياع للوقت أو صعوبة على قرار، بأن الأسقف المذكور، صار الآن شيخاً كبيراً، وضعيفاً، ومخرفاً، ويتوجب نفيه بشكل قاطع إلى مناطق نائية فيما وراء البحار، وصدر قرار من قبل القضاة الذين كانوا أصدقاء للكورسينيين، ومختارين بناء على رغبتهم، بوجوب أن يمثل الأسقف أمامهم، للاجابة على ما اقترفه من ذنب تجاه تجار البابا، ولكن الأسقف

اختار أن يكون مثل سام، في أن يغطي عورة أبيه، وأن لا يكون مثل حام يقوم بعرض هذه العورة وكشفها، فوضع نهاية سلمية لهذا الاضطراب الذي أثاره، وتظاهر باخفاء الذي وقع، وأوكل أمره وقضيته إلى حماية القديس بولص، الذي عندما كان يعظ حول العدالة الصحيحة والشديدة كتب مايلي:

«وإذا ما بشركم ملاك بعكس هذه الأشياء، فليكن أثماً» [غلاطية: ٨/١].

وقاحة بعض الرهبان الفرنسيين

وفي هذه الآونة نفسها، دخل بعض الرهبان الفرنسيين، وكذلك بعض الذين انتموا إلى طائفة المبشرين، إلى أراضي ديرة أحد النبلاء، وهم غير مراعيين لاختصاصهم، ولتعليمات نظامهم، وجاء دخولهم تحت حجة القيام بواجباتهم بالوعظ، وتظاهروا بأنهم على نية المغادرة في اليوم التالي بعد الفراغ من الوعظ، غير أنهم بقيوا وأشادوا مذبحاً من الخشب، ووضعوا عليه حجراً مكرساً، كانوا قد جلبوه معهم، وأقاموا بشكل خفي تأمري، وبصوت منخفض قداساً، لابل إنهم تلقوا اعترافات كثير من أتباع الأسقفية، مما شكل تحدياً وتجاوزاً للكهنة، وقالوا بأن لديهم التفويض من البابا بتلقي الاعترافات من المؤمنين، الذين يستحون من عملها لكهنتهم، أو يابون عملها، لأن الكهنة اقترفوا الذنوب نفسها، أو أنهم كانوا يخشون فعل ذلك لأن الكهنة كانوا مغمورين، وإلى هؤلاء أعطى الفرنسيون تحليلاً، بعدما فرضوا تكفيراً عليهم، وأرسلوا في الوقت نفسه مراقباً إلى البلاط الروماني بكل سرعة، ليرافع من أجل قضيتهم ضد رجال الدين، الذين كانوا مقيمين في منطقتهم، وحصلوا على إذن بالبقاء هناك مع بعض المنافع الإضافية وإذا حدث وكانوا غير راضين بهذا، فإنهم انفجروا بإهانات وتهديدات، شامتين كل طائفة، باستثناء طائفتهم، وأكدوا أن جميع البقية هم بين الذين قضي عليهم بالادانة، وأنهم سوف لن يوفروا نعال

أقدامهم حتى يبددوا ثروات خصومهم، مهما كانت ضخمة، وبناء عليه تنازل إليهم رجال الدين في كثير من النقاط، وتخلوا لتجنب مؤامرات هؤلاء وعدوانيتهم وهم في قوتهم، لأنهم كانوا المستشارين والرسل لدى النبلاء، لابل أكثر من هذا، كانوا أمناء سر لدى البابا، ولذلك حصلوا على كثير من الخطوة المدنية، ووجد بعضهم — على كل حال — أنفسهم معارضين في بلاط روما، فراجعوا لأسباب بديهيّة، وغادروا مبتعدين بحالة اضطراب، لأن الحبر الأعظم قال لهم وهو ينظر إليهم نظرة غضب:

«مامعنى هذا يا إخواني؟ إلى أي مدى أنتم ذاهبون؟ أولم تتخذوا عقيدة الفقر وتتخذوها عن طواعية، وأنكم سوف تسافرون في البلدات والقلاع والمسافات البعيدة، حسبما يقتضي الحال، حفاة، غير متباهين، من أجل التبشير بكلمة الرب بكل تواضع؟ وأولم تقوموا الآن باستئناف اغتصاب هذه الممتلكات لأنفسكم، ضد رغبات أصحاب هذه الاقطاعيات؟ ويبدو أن ديانتكم قد أخذت تتلاشى إلى أبعد الحدود وهي في طريقها إلى الموت، وأن عقائدكم باتت مدحوضة»، ولدى سماعهم بهذا، غادروا وأخذوا يتصرفون بأنفسهم بلطف أكثر، مع أنهم كانوا من قبل قد تحدثوا بشموخ وغطرسة، ورفضوا أن يقادوا بموجب إرادة الآخرين، مع أنهم كانوا في بيوت ليست بيوتهم.

وجرى في هذا العام الاستيلاء على قرطبة — وهي مدينة مشهورة في اسبانيا — من قبل ملك قشتالة، وذلك بعد قتله لأخي أمير المؤمنين، وتمزيق جيشه وتفريقه.

موت روبرت فتز — وولتر وروجر دي سومريك

وفي العام نفسه، مع اقتراب ميلاد ربنا، غادر طريق الجسد روبرت فتز — وولتر، الذي كان باروناً من أصل شهير، وصاحب سمعة عالية، في البراعة في السلاح، وفي العام نفسه أيضاً، أخذ روجر دي سومريك - Su-

meric وهو في زهرة الشباب، من بين الناس، وكان رجلاً فريداً في فصاحته، ومن أصل محترم، وصاحب قوة متميزة، وفي هذا العام أيضاً، أرسل الامبراطور جلاً إلى الامبراطور، كعلامة على مواصلة تقديره.

زواج الملك هنري من إليانور ابنة كونت بروفانس

سنة ١٣٢٦ لتجسيد الرب، التي كانت السنة العشرين لحكم الملك هنري الثالث، وفيها عقد بلاطه في وينكستر في عيد الميلاد، وقد احتفل بذلك العيد بفرح، فقد كان في ذلك الوقت ينظر بتشوق إلى عودة رسله الخاصين، الذين بعث بهم إلى بروفانس، إلى ريموند كونت تلك المقاطعة مع رسائل تتضمن تفكيره العميق واهتمامه الكبير في التعاقد زواجياً مع ابنته إليانور، وكان الكونت المذكور من أصل مشهور، وكان شجاعاً في المعركة، إنما بسبب استمرار الحروب، قد بدد تقريباً جميع المال الذي امتلكه، وكان قد تزوج من ابنة توماس، كونت سافوي المتوفى، وأخت أميدوس Amadeus الكونت الحالي، وكانت سيدة ذات جمال مدهش، كان اسمها بيترايس Beatrice وأنجبت هذه السيدة من الكونت المتقدم الذكر ابنتين لهما جمال عظيم، وكان اسم الكبرى مرغريت، وهي التي تزوجت من لويس ملك فرنسا، حسبما حدثنا كاهن اسمه جون دي غيت Gates وقد طلب ملك انكلترا الآن بوساطة الرسل المذكورين الزواج من الابنة الصغرى، وكانت سيدة شابة، ذات مظهر رشيق، ومن أجل الحصول على هذه الخطوة، كان قد أرسل بشكل سري رتشارد، رئيس رهبان هورل Hurle مقدماً، وقد تمكن باخلاص وبمتابعة بإنهاء القضية، وإثر عودة رئيس الرهبان، وإخباره الملك بالنتيجة، قام الملك بمعاودة مراسلة الكونت، بوساطة بعض الرسل الآخرين، وهم:

هيوج أسقف إيلاي، وروبرت أسقف هيرفورد، والراهب روبرت دي ساندفورد Sandford مقدم فرسان الداوية، واستقبل هؤلاء الرسل من قبل كونت بروفانس، لدى وصولهم بأعظم تشريف واحترام، وتسلموا من

يديه ابنته إيلانور، من أجل أن تتحد مع ملك انكلترا وبه تقترن، ورافقها أيضاً «خالها» وليم الأسقف المنتخب لبلنسية Valentia وكان رجلاً متميزاً، وأيضاً من قبل كونت شامبين، وكان من أقرباء الملك الانكليزي، ولدى معرفة كونت نافار أنها سوف تسافر خلال أراضيها، خرج مسروراً لاستقبالها، ورافق الراكب بمثابة دليل خلال ممالكه، أثناء رحلة استمرت خمسة أيام وزيادة، كما أنه بدافع من كرمه الطبيعي، دفع جميع النفقات لكل من الخيول والمرافقين، وضم الراكب أكثر من ثلاثمائة عسكري خيال في الحاشية، دون أن نحسب العدد الكبير من الذين تبعوهم، ولدى وصولهم إلى حدود فرنسا، حصلوا، ليس فقط على أمان العبور، بل على ممر تشريفي خلال تلك البلاد، تحت رعاية الملك الفرنسي وملكته، أخت السيدة، التي كانت على وشك الزواج من الملك الانكليزي، وأيضاً من قبل بلانشي، أم الملك، وقد أقلعوا من ميناء ساندويز (الأقوم: قوانتافيك Quentavic أو ويسانت Wissant)، وأخذوا الطريق بأشعة منشورة إلى دوفر، حيث وصلوا بعد عبور سريع، وذلك قبل أن يتوقعوا ذلك، وبعدما نزلوا إلى اليابسة بسلام، انطلقوا نحو كانتبري، وقد استقبلوا من قبل الملك، الذي اندفع إلى مابين أذرعة الرسل، وبعدما رأى السيدة، واستحوذ عليها، تزوج منها في كانتبري، وعمل الاحتفال في الرابع عشر من كانون الثاني، وأقام الاحتفال ادموند رئيس أساقفة ذلك المكان، يساعده الأساقفة الذين قدموا مع السيدة، وذلك بحضور النبلاء الآخرين وأساقفة المملكة، وفي التاسع عشر من كانون الثاني، ذهب الملك إلى ويستمنستر حيث جرى احتفال مهيب غير عادي، في اليوم التالي، الذي كان يوم أحد، وفي ذلك الاحتفال كان الملك متوجاً وكانت إيلانور متوجة ملكة، وعلى هذا تزوج هنري الثالث في كانتبري، أما الاحتفال بالعرس فجرى في لندن، في ويستمنستر، وكان ذلك يوم عيد القديس فايان Fabian والقديس سيباستيان Sebastian.

الاحتفالات أثناء زواج هنري الثالث

لقد اجتمع هناك أثناء احتفالات عرس الملك حشد كبير من النبلاء من الجنسين، مع أعداد كبيرة من رجال الدين، وكذلك جمهور كبير من الناس، وأنواع كبيرة من الممثلين، إلى حد أن لندن، على الرغم من اتساعها الكبير، استوعبتهم بصعوبة، وكانت المدينة كلها مزينة بالأعلام والرايات، والأكاليل، والمعلقات، والشموع، والمصاييح، مع ابداعات رائعة، وعروض غير عادية، وكانت جميع الطرق منسقة من الوحل والأوساخ، والعصي، ومن كل شيء مؤذي.

وخرج سكان المدينة أيضاً، لاستقبال الملك والملكة، وكانوا يرتدون ثياب الزينة، وتنافسوا واحد مع الآخر محاولين الاسراع بخيولهم، وفي اليوم نفسه عندما غادروا المدينة قاصدين ويستمنستر، ليبارسوا واجبات الساقي للملك (وهي وظيفة قديمة عائدة إليهم بموجب امتياز قديم، أثناء التسويج)، ساروا إلى هناك وهم يرتدون ثياباً حريرية، مع أردية معمولة بالذهب، مع غيارات ثمينة، وقد امتطوا خيولاً غالية، تلمع باللجم الجديدة والسرج، وقد ركبوا على شكل عساكر، واصطفوا بأرتال، وحملوا معهم ثلاثمائة وستين قرحاً من الذهب والفضة، وكان يسير أمامهم حملة الأبواق والنفر الملكية وهم ينفخون بها، وهكذا جعلت هذه المسيرة الاحتفالية الرائعة، كل انسان يراها، يصاب بالدهشة، وقام رئيس أساقفة كانتربري، بموجب الحق الخاص به، بممارسة واجب التسويج، وسط المهابة المعتادة وتولى مساعدته أسقف لندن كعميد، وأخذ الأساقفة الآخرون أماكنهم تبعاً لمراتبهم، وبالطريقة نفسها وقف رعاة الديرة، وكان على رأسهم —بموجب امتيازهم— راعي دير القديس ألبن (لأن ب. ألبن بحكم كونه رائد شهداء انكلترا، كان المقدم على جميع شهداء انكلترا، وبناء عليه كان راعي ديره المقدم على جميع رعاة الديرة في المرتبة والمقام) لأن الامتيازات الأصلية لتلك الكنيسة قد رسمت ذلك، وأدى النبلاء أيضاً

واجباتهم التي جعلتها الامتيازات القديمة والعادات عائدة إليهم أثناء تنويع الملوك، وبالطريقة نفسها أدى بعض سكان المدن بعض الواجبات العائدة إليهم بموجب امتياز أجدادهم، فقد حمل ايرل شيلستر سيف القديس إدوارد، الذي اسمه Curtun أمام الملك، كعلامة على أنه كان ايرل ذلك القصر، وأن لديه حتى السلطة في تقييد الملك وردعه إذا ما اقترف خطيئة، وكان مع الايرل قسطلان شيلستر، وهو الذي أبقى الناس بعيداً بعضاً عندما كانوا يضغطون نحو الأمام بطريقة فوضوية، وحمل المارشال الأعظم لانكلترا، الذي هو ايرل بيمبروك عصاً أمام الملك، وأخلى الطريق أمامه في كل من الكنيسة، وفي قاعة الوليمة، ونظم المائدة وجلس الضيوف حول المنضدة، وحمل حجاب الـ Cinque Ports الطيلسان فوق الملك، محمولاً فوق أربعة رماح، ولكن الادعاء بهذا الواجب لم يكن كلياً من دون خلاف، وزود ايرل ليلستر الملك بطست فيه ماء ليغسل يديه قبل الطعام، وقام ايرل وارني Warrenne بواجب حامل كأس الملك، وحل بذلك محل ايرل آرونديل، لأن الأخير كان ما يزال شاباً، ولم يعمل فارساً بحزام بعد، وكان المعلم ميكائيل بيليت الساقى ex officio وكان الايرل هيرفورد هو الذي مارس واجبات مارشال حاشية الملك، وشغل وليم بوشامب وظيفة موزع الصدقات، وأعد المسؤول عن عدالة الغابات الكؤوس على المائدة، على يمين الملك، ومع أنه قابل بعض المعارضة، فإنها سقطت إلى الأرض، ووزع سكان لندن الخمرة في جميع الاتجاهات، في كؤوس ثمينة، وتفوق الذين كانوا من وينكستر في أعمال الطبخ للاحتفال، وشغل البقية أماكنهم المتنوعة، وذلك وفقاً للقوانين القديمة، أو حاولوا فعل ذلك، ولكي لا تتعكر أجواء الاحتفالات الزفافية بأية خلافات، باستثناء امتياز أي واحد، علق البت بأشياء كثيرة أنياً، وترك ذلك إلى فرصة أكثر مواءمة، وعيّن مكتب مستشار انكلترا وجميع المكاتب المرتبطة بالملك واستحوذ عليها في الخزينة، ولذلك فإن المستشار، والمارشال، ومفوض الجيش، أخذوا مقاعدهم هناك

بموجب حقوق مكاتبهم، وذلك مثلما فعل البارونات، وذلك تبعاً لتاريخ خلقهم، في مدينة لندن، حيث عرف كل واحد مكانه، وكان الاحتفال رائعاً، مع ألبسة سرور ارتداها كل من رجال الدين والفرسان الذين كانوا حضوراً، ورش راعي دير ويستمنستر الماء المقدس، وتولى الخازن دور، نائب العميد، فحمل طبق القربان المقدس، ولماذا عليّ وصف جميع هؤلاء الأشخاص الذين خدموا بشكل جليل في كنيسة، وفقاً لمقتضيات واجباتهم؟ ولماذا عليّ وصف وفرة اللحوم والأطباق على المائدة، وكميات لحوم الطرائد، وأنواع السمك، والأصوات المبهجة لرجال الطرب، وسرور الخدم؟ فكل ما هو موجود في العالم، وكان بإمكانه الاسهام في توفير السرور والأبهة كان هناك، قد جلب وجمع من كل جهة من الجهات.

هطول ثقیل للأمطار

وفي تلك الآونة، ولمدة شهرين وأكثر، أي في كانون الثاني، وشباط، وجزء من آذار، تساقطت أمطار ثقيلة متواصلة، لم يشاهد مثلها، ولم يسمع بمثلها في ذاكرة أي إنسان، وفي حوالي أيام عيد القديس سكولاستكا Scholastica «١٠-شباط»، عندما كان القمر جديداً، ازدادت مياه البحر كثيراً بسبب أن نهر تورنتس Torrents صبّ فيه، وصارت جميع الأنهار، خاصة التي تصب في البحر، سبباً في تحويل جميع المخاضات بجعلها لا يمكن عبورها، فقد تدفقت المياه وفاضت من على الطرفين، وأخفت الجسور، فلم تعد تشاهد، وحملت معها كل طاحون وسد، وغمرت الأراضي المزروعة، والمحاصيل والمروج، والسباخ، وكان بين الوقائع غير المعتادة، أن نهر التيمس، فاض فوق حدوده المعتادة، ودخل إلى قصر ويستمنستر الكبير، حيث انتشرت المياه، وغطت المساحة كلها، وصار بإمكان قوارب صغيرة أن تطفو هناك، وذهب الناس إلى بيوتهم على ظهور الخيول، وشقت المياه طريقها بالقوة إلى الأقبية التي كان من الصعب نضح

المياه منها وتصريفها، وأعطت علامات هذه العاصفة التي ظهرت قبلها براهين على تهديداتها ومخاطرها، لأنه في يوم عيد القديس داماسوس Damasus «١١- كانون الأول» سمع رعد، وفي يوم الجمعة التي جاءت بعد حمل القديسة مريم «٨- كانون الأول» شوهدت شمس زائفة إلى جانب الشمس الحقيقية.

وصول رسول إلى انكلترا من عند الامبراطور

وعند الانتهاء من احتفالات الزفاف، غادر الملك لندن، وذهب إلى ميرتون، حيث جمع النبلاء لسماع رسالة وصلت مؤخراً من الامبراطور، ول مناقشة شؤون المملكة، لأن رسلاً قدموا مباشرة من عند الامبراطور إلى الملك، مع رسائل تسأله، أن يرسل من دون تأخير أخاه رتشارد إيرل كورنوال Cornwall الذي أخبار براعته انتشرت بالطول وبالعرض، ليشن حرباً على ملك فرنسا، كما أنه وعد، أن يرسل على سبيل المساعدة، جميع قواته الامبراطورية، في سبيل مساعدة الملك الانكليزي، ليس فقط لاسترداد ممتلكاته القارية، بل بعد استردادهم، لتوسعة ممتلكاته السالفة، وعلى هذا أجاب الملك والنبلاء الذين اجتمعوا هناك، بعد مناقشات كاملة، بأنه سوف لن يكون سليماً وحكيماً، إرسال واحد ما يزال شاباً يمثل هذا العمر إلى خارج المملكة، وتعرضه لتقلبات الحظ المشكوك فيها ولمخاطر الحرب، ولا سيما هو وحده ولي العهد الموجود للملك وللمملكة، وكانت جميع الآمال معقودة حوله بعد الملك، ولأن الملك، وإن كان متزوجاً، هو ليس لديه أولاد، والمملكة زوجته كانت ماتزال صغيرة، وليس معروفاً بعد هل ستكون منجبة أم عقيمة، لكن إذا كان موافقاً لسموه الامبراطوري، استدعاء أي رجل شجاع آخر يختاره من بين نبلاء المملكة، لهذه الغاية، فإن الملك وجميع أصدقائه ورعيته موافقون على هذا الطلب، وسوف يقدمون له جميع المساعدات التي هي بإمكانهم، ولدى تسلم الرسل هذا الجواب، عادوا لإخبار مولاهم.

بعض القوانين الجديدة التي عملها هنري الثالث

وفي الوقت نفسه، عمل الملك هنري الثالث، بعض القوانين الجديدة، من أجل انقاذ روحه وتحسين أوضاع المملكة، وكان دافعه المؤثر عليه روح العدالة والتقوى، وقد أمر بمراعاة هذه القوانين وتطبيقها بلا استثناء في جميع أرجاء مملكته.

وتعلقت هذه القوانين بالمقام الأول، بأوضاع الأرامل، اللائي كن بعد وفاة أزواجهن، يحرم من صداقهن، أو لم يكن بإمكانهن الاستحواذ على ذلك، وعلى بائنة كل واحدة منهن من مرافعة أو ادعاء، وقد رسم أن كل من يجرمهن بالقوة من صداقهن ومن منازلهن التي كانت بحوزتهن عند وفاة أزواجهن، ينبغي بعد ذلك للأرامل أن يسترددن فيما بعد استرداد صداقهن بالمرافعة القضائية، ووقتها يحكم على الفئة المغتصبة بالظلم والاعتصاب وعليهم التعويض عن الخطأ والقيام بالأصلاح نحو الأرامل المذكورات، ودفع الثمن الكامل للصدّاق الذي هو حق كل واحدة منهن، وذلك من يوم وفاة الزوج إلى يوم استرداد الممتلكات بوساطة القضاء، ومع هذا سوف يكون المغتصبون تحت رحمة الملك، وأيضاً سوف تكون الأرامل من الآن فصاعداً يمتلكن الحرية بالحصول على جميع القمح الناتج عن أراضيهم، والصادر عن صداقهن، وكذلك من الأراضي الأخرى، والاقطاعيات المكرّرة، باستثناء الخدمات المستحقة إلى مواليتهم من صداقهن ومن الاقطاعات المكرّرة الأخرى، وكذلك كل من سيحرم من اقطاعيته المكرّرة الحرة، وسوف يسترد الاستملاك بالاستيلاء على ملكية منتزعة جديدة أمام رجال العدالة، أو أنه قام بانتزاع الملكية بموافقتهم، وعندما يستحوذ المنتزع للملكيات من خلال العمدة، إنه إذا كان المستولي قد استولى عليهم بعد المرور بدائرة رجال العدالة، أو من خلال الدائرة نفسها، وسوف يدان بذلك، فإن المغتصبين جميعاً سوف يعتقلون، ويحبسون بسجن مولانا الملك، حتى يجري تحريرهم من قبله، إما بفدية، أو

بأي شكل آخر، والشكل التالي للادانة هو الذي ينبغي أن تجري مراعاته بالنسبة إليهم: عندما يقدم مشتكون إلى المحكمة الملكية، فإنهم سوف يحصلون على مذكورة من الملك ستكون حاوية على براهينهم على الاغتصاب للملكية التي تولاها مغتصب، وبالمذكورة سوف يؤمر العمدة بأن يأخذ معه مراقبي مرافعات التاج، وموظفين قانونيين آخرين، وأن يذهب بشخصه إلى الملكية المكتراة أو المرعى، الذي حوله عملت الشكوى، وأن يقوم بحضورهم، بوساطة المحلفين أولاً، وبوساطة الجيران الآخرين، ورجال القانون، أن يقوم بحضور هؤلاء وبوساطتهم يبحث دقيق حول القضية، وإذا ماتم الاكتشاف وجود اغتصاب كما ورد الذكر أعلاه، فوقت ذلك يسرون بالاجراءات، وفقاً للمواد القانونية المعلنة من قبل، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فلسوف يكون أصحاب الشكاية تحت رحمة الملك، وسوف تذهب الفئة الأخرى بدون مسؤولية، والشيء نفسه سوف يعمل بالنسبة لقضية أولئك الذين سوف يستردون ممتلكات باستيلاء موت أسلافهم، فإن الشيء نفسه سوف يعمل أيضاً في قضية جميع الممتلكات الاقطاعية المستردة بوساطة القضاة في بلاط الملك، وأيضاً حيث هناك لدى عدد من نبلاء انكلترا فرسان مقطعين، واقطاعاتهم الحرة ممتلكات صغيرة في عزبهم، وقد اشتكوا أنهم لا يستطيعون الإيفاء بما عليهم بالنسبة لما يتعلق بفضلة عزبهم، مثلاً بالنسبة للخسارة، والغابات، والمراعي، وبناء عليه حتى يمكن للفارس المقطع أن يمتلك الكفاية، بما هو متوأم مع أراضي المكتراة، فقد تقرر ومنح أن مقطعين من هذا النوع، من أي واحد كان، سوف يحضرون ملكية منتزعة جديدة قد استحوذوها، ويعرضوها أمام رجال العدالة، فلسوف تجري الموافقة عليها وأنهم صار لديهم مرعى كاف، متوافقاً مع أراضيهم المكتراة، وذلك مع مدخل حر، ومخرج من أراضيهم المكتراة إلى ذلك المرعى، وأن يكونوا راضين بالشيء نفسه، وكذلك أولئك الذين جرى تقديم شكاويهم المماثلة، فهؤلاء سوف تتم ترصيتهم، بحصولهم على رغبتهم بالنسبة لقضية أراضيهم الخاسرة، وللغابات،

والمراعي، لكنهم إذا ما قالوا بأنهم لم يستحوذوا على مرعى كاف، أو مدخل ومخرج كافيين، فوقتها يجري التدقيق بالحقيقة من قبل المقومين، وإذا ما اكتشف من قبل المقومين، وجود أية عوائق كانت، كما تقدم القول، فوقتها سوف يتسلم ممتلكات بعد الفحص الذي يجريه المحلفون، وبناء عليه على إخلاصهم، وعلى أيمانهم، يمكن للمشتكين أن يحصلوا على مراعي كافية، ومدخل حر، ومخرج، على الشكل الموضح أعلاه، وسوف يبقى المعتصبون تحت رحمة الملك، وسوف يدفعون ثمن الخسائر، كما اعتادوا أن يدفعوا من قبل هذا التنظيم، ولكن إذا تبين للمقومين بأن المشتكين لديهم مراعي كافية ومدخل حرة كافية ومخرج، كما قيل من قبل، لسوف يسمح للفئة الأخرى أن تعمل ما هو صحيح بالبقية، وسوف تغادر بهدوء، ومنح أيضاً من قبل مولانا الملك، مع موافقة النبلاء، أنه منذ ذلك الحين، سوف لن تتراكم الفائدة ضد قاصر منذ وقت وفاة سلفه، الذي هو وريثه، حتى يصل إلى السن القانوني، إنما على هذا الأساس لا يجوز تأخير دفع الرأسمال الأساس، وكذلك فيما يتعلق بالذين اقترفوا اعتداءات في حدائق أو حظائر، جرى نقاش حول قضيتهم، لكن لم يتخذ قرار حول الأمر، لأن النبلاء طالبوا بأن يمتلك كل واحد منهم سجنه، لسجن المتجاوزين الذين يجري اعتقالهم في حدائقهم وحظائرهم، غير أن الملك لم يمنحهم ذلك، ولذلك بقي هذا الأمر كما كان من قبل.

كتابة أرسلت إلى البابا حول

أصل محمد (صلى الله عليه وسلم) وشرائعه

وفي هذا الوقت نفسه، أرسلت رسالة إلى صاحب القداسة البابا غريغوري التاسع من بلدان الشرق، من المبشرين الذين كانوا يرتحلون في تلك المناطق، وعندما نشرت للعالم، وحوث الحديث عن العقيدة الزائفة، وعن... محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الاسلام فإنها أثارت الكراهية والسخرية من قبل الجميع، وهذه الأشياء قد عولجت من قبل في مكانها

المناسب، في أخبار سنة ستمائة، عندما بدأ الوباء المحمدي.

ويصر السراسنة على أنهم عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى ساره «١»، لكن والحق يقال ينبغي أن يقال لهم المهاجرين نسبة إلى هاجر، واسماعيلين نسبة إلى اسماعيل، الذي أنجبه ابراهيم من أمته هاجر، ومن اسماعيل ولد أبناؤه:

قيذار، نابت، يشجب، يعرب، تيرح، ناحور، مقوم، أد، أدد، عدنان، معد، نزار، مضر، الياس، مدركة، خزيمة، كنانة، النضر، مالك، فهر، غالب، لؤي، كعب، مرة، كلاب، قصي، وعبد مناف، الذي كان لديه ولدين هما: هاشم، وعبد شمس، وأنجب هاشم الذي هو واحد من الاثنين: عبد المطلب، وأنجب عبد المطلب: عبد الله، الذي منه ولد محمد (صلى الله عليه وسلم)، الذي يعدّ نبي السراسنة.. وقد خلف محمد (صلى الله عليه وسلم) في مملكته وفي أوهامه الخطاب (كذا) وخلف الخطاب عمر، وهو الذي كان معاصراً لكسرى، الذي قتله هرقل، الامبراطور الروماني.

الممارسات التي نشأ فيها محمد (صلى الله عليه وسلم)

وهذا الرجل، الذي اسمه محمد (صلى الله عليه وسلم)، عند موت أبيه عبد مناف، تولى العناية به رجل اسمه أبو طالب، وقد صار وصياً عليه، ورباه، وكان رجلاً يرعى الأوثان في مكان اسمه الكعبة، وأيضاً بيت الله، وعندما وصل إلى سن الشباب، أصبح يعمل لدى امرأة اسمها خديجة ابنة خويلد، التي أعطته أتاناً لخدماته، وليجلب بضائع إلى مناطق آسية، التي كانت هي تتسلم ثمنها، وأخيراً تصادق مع هذه المرأة وتزوجها، وقد ارتفع شأنه بذلك كثيراً، وبدأ يتشامخ، وسعى لأن يجعل نفسه حاكماً على كل القبائل مرو على شعبه، وفي الحقيقة كان سيدعي لنفسه أنه الملك عليهم، لولا

١ - أصل الكلمة هو التصحيف المعتاد لدى النقل من لغة إلى أخرى، لكلمة «شركة ثمود».

أن بعضهم الذين كانوا أكثر نبالة وقوة منه شخصياً قد عارضوا هذا المعتصب، وعند ذلك أعلن عن نفسه أنه نبي بعث من عند الله، وأن على جميع الناس الإيمان بكلماته، ولم يكن العرب الجاهلين والفقراء قد رأوا من قبل نبياً، ولذلك آمنوا به، وكان هناك أيضاً واحداً مرتداً، قد وقع بالهرطقة، وكان محروماً كنسياً، وقد دعا إلى العقيدة نفسها، وكتب عقيدته، وجذب محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى صداقته جميع قطاعي الطرق واللصوص الذين أمكنه جمعهم، ومركزهم في أماكن سرية على الطرق من أجل سرقة التجار وهم على طريقهم من آسيا، وكان في أحد الأيام قادمًا من مدينتي اليمن والشام، فوجد على الطريق جملاً، كان ملكاً لرجل اسمه «أبي جهل ابن هشام»، فاستولى عليه على الفور، وهرب إلى مدينة مكة، غير أن سكان ذلك المكان، لم ينظروا إليه كنبي، فأهانوه، وطردوه من مدينتهم كمدعي، وكرهوه كسارق وسالب للمسافرين، ثم إنه ذهب إلى مدينة في الصحراء، كان شطر من سكانها يهود، والشطر الآخر كفار، ووثنيين، وفقراء، وأناس جهلة، وهناك بنى مع أصحابه معبداً فيه نشر عقائده المزيفة إلى الناس البسطاء، وبعد هذا أرسل واحداً من أتباعه اسمه حمزة بن عبد المطلب Gadimelic مع أربعين جندياً، لنهب التجار الذين كانوا يرتحلون مع مبالغ كبيرة من المال، والتقى هؤلاء الرجال بأبي جهل بن هشام (الذي كان محمد «صلى الله عليه وسلم» قد استولى على جملة)، وكان برفقته ثلاثمائة رجل من مدينته، ولدى رؤية هؤلاء هرب اللصوص الذين أرسلوا من قبل محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهذا يدل على أن هذا النبي المزيف لم يستطع أن يتنبأ مسبقاً بهذه الحادثة ليحترس ضدها، لأنه لم تكن لديه روح النبوة، ولذلك فإن السراسنة يكذبون عندما يقولون بأنه كان لديه دائماً عشرة ملائكة معه، كانوا يتولون خدمته في كل شيء.

وفي مناسبة أخرى أرسل محمد (صلى الله عليه وسلم) هذا، رجلاً اسمه عبيدة Gabeit ابن الحارث Alcharith مع أربعين عسكرياً، لجمع

الأسلاب، وقد هوجم هؤلاء من قبل مركز Abizechem ابن حفص Nubar مع أصحابه، وقد هزم هؤلاء اللصوص وفرقوهم بعدما قتلوا بعضاً منهم، ومامن واحد من ملائكة محمد (صلى الله عليه وسلم) قد ساعدتهم، ومجدداً أرسل محمد (صلى الله عليه وسلم) في المناسبة الثالثة، واحداً من أتباعه اسمه عبد الله بن جحش... [اكتفيت بما تقدم كنموذج وحذفت الباقي لعدم الفائدة، وللتشويه الشديد الذي لحق بالأساء، وللزيف الواضح].

هرطقة الباترينيين والبوغارينيين

وحصل في هذه الآونة الهرطقة الذين يعرفون باسم الباترينيين Pat- erinians والبوغارينيين Bugarians الذين يسكنون في مناطق ماوراء الألب، والذين أفضل أن أقف صامتاً تجاه آثامهم وأن لا أذكرها، حصلوا على أرضية قوية حتى أنهم تجرأوا على تهديد نقاوة الإيمان في مناطق فرنسا وفلاندرز، لكن بفضل نشاط وإدارة ومتابعة الواعظين من الفرنسيين، والمبشرين، واللاهوتيين، وبشكل خاص واحد من المبشرين اسمه زوبرت (الذي كان لقبه بوغري Bugre) وكان قد تحول من ذلك الإيمان ولبس رداء المبشرين) وكان قد عرف باسم مطرقة الهرطقة، فبفضله انحسرت أوهامهم، وجرى الكشف عن آثامهم وفضحه، وقد رفض عدد من الجنسين التحول إلى الإيمان الصحيح، فأمر باحراقهم، وهكذا أحرق خلال شهرين أو ثلاثة أشهر خمسين انساناً، وهم أحياء.

نشوب خلاف بين الامبراطور وبين الرومان

واشتعل في هذه الآونة غضب الامبراطور ضد الايطاليين، إلى درجة، أنه لإزدياده وحقنه يومياً تفجر على شكل حقد شديد لا يمكن اصلاحه، ولذلك تقدم بشكاوى كثيرة حول صلفهم إلى صاحب القداسة البابا،

مؤكداً ومصرّاً على أن تشامخ الذين يكرهونه هو الذي يسيطر دوماً، وسأل البابا أن يقوم مع مساعدة جميع البلاط الروماني، في أن يعطي اهتمامه كله، لإعادة إقامة سلام مشرف بينه وبينهم، أو أن يقدم إليه مساعدة فعالة، حتى يتمكن بوساطة استخدام السلاح من تدجينهم واخضاعهم، وانزالهم إلى وضعهم المعتاد بالطاعة، وكما أن البابا قد طلب منه تقديم مساعدة إليه، وعد الامبراطور بتقديم المساعدة إلى الكنيسة الرومانية، عندما تجد نفسها في ضائقة ومحتاجة إليها، ولذلك وجدت الكنيسة نفسها في وضع حرج، ولم تعرف كيف تقرر التصرف، واشتكى الامبراطور بحدة كبيرة من مدينة ميلان التي كانت حاضنة الهراطقة وحامية المتمردين ضد الامبراطورية، ولكي يحارب ذلك المكان، حشد في المكان نفسه جيشاً كبيراً، وقد سجن ابنه هنري، الذي اتهم بالخيانة ضد أبيه، في سجن مضيق عليه.

عقد مؤتمر في لندن

اجتمع في العام نفسه، في ٢٨ نيسان نبلاء انكلترا في مؤتمر عقد في لندن، للبحث في شؤون المملكة، وكان الذي سبب دهشة كبيرة إلى الجميع أن الملك اتبع نصيحة الأسقف المنتخب لبلنسية Valentia بدلاً مما كان عليه، برفضها، فقد بدا للنبل أن مواضعه العامة تستحق الازدراء، ولذلك غضبوا من الملك واتهموه بالتقلب، وقالوا فيما بينهم:

«لماذا لا يحمل هذا الأسقف المنتخب نفسه، ويذهب إلى مملكة فرنسا، بما أن الملك الفرنسي قد تزوج من الأخت الكبرى لملكنا، وذلك من أجل أن يدير المملكة الفرنسية، كما يفعل هنا، وبسبب أن ابنة أخته هي ملكة تلك البلاد؟»، وكانوا غاضبين جداً، وذهب الملك في اليوم الأول من المؤتمر إلى برج لندن، وبذلك أعطى سبباً كبيراً لعدم الرضا، لكثيرين حول هذه القضية، وقد شعروا بأحاسيس غير موائمة وليست مفيدة، ولذلك لم يذهب النبلاء لافردياً ولا جماعياً إلى برج لندن إلى الملك، خوفاً منهم من أن يقبل بالنصيحة الشريرة، وأن يثور غضبه عليهم، وقد أذرتهم كلمات